بحوث تربوية : ١

الإتبـاع الصوتي في القرآن، نماذج من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي "٧٤٥"

د. محمد حادف
حاصل على دكتوراه تخصص اللغة والأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة القاضي عياض مراكش المغرب.

- **المستخلص:**

حاولنا في هذا المقال، رصد صور الإتباع الصوتي، من خلال البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، مركزين على النماذج الموافقة لكل عنوان، داخل المقال، وكان هدفنا من وراء هذا، أن نقارب ظاهرة الإتباع في المجال الصوتي، ونبين أثرها على بنية اللفظ في القرآن الكريم، ونفصح عن مواقف أبي حيان من الظاهرة، ومن إجرائها على اللفظ القرآني.

الكلمات المفاتيح: الإتباع الصوتي/ البنية الصرفية/ القرآن الكريم/ المماثلة/ المخالفة.

the images of phonetic follow-up through the book Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan Al-Andalusi

Dr. Mohammed Hadef

Abstract:

In this article, we tried to monitor the images of phonetic follow-up through the book Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan Al-Andalusi, focusing on the models corresponding to each title within the article. Our goal was to approach the phenomenon of follow-up in the phonetic field and to show its effect on the structure of the word in the Holy Qur'an, and to reveal Abu Hayyan's positions on the phenomenon and its application to the Qur'anic word.

Keywords: phonetic conformity/morphological structure/the Holy Quran/similarity/dissimilarity.

- **تمهيد:**

تتعدد صور التحول الصوتي في البنية الصرفية للقرآن الكريم، وهي صور غالبا ما تشتد صلتها بقانوني المماثلة والمخالفة، أما المماثلة فهي مصطلح أطلق عليه علماء العربية اسم المضارعة والتقريب؛ أي تقريب صوت من صوت آخر يجاوره، ليعمل اللسان عملا واحدا(١)، وقاربوها من زوايا متعددة، كالإدغام، والإعلال، والإتباع، والإمالة، والإبدال... وهي مظاهر تدخل كلها ضمن عملية التأثير والتأثر بين الأصوات، وقصدوا بها أيضا كل أنواع التأثيرات بين الأصوات(٢)؛ بمعنى أن الأصوات اللغوية، يتأثر بعضها ببعض، تأثيرا يهدف إلى نوع من المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات والمخارج(٣).

---

(١)- ينظر الأصوات اللغوية، ص: ١٧٨.

(٢)- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: ٢٧٩.

(٣)- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، مادة (م، ث، ل). الأصوات اللغوية، ص: ١٠٦.

وأما المخالفة، فقد تتبعها علماء العربية، بحدود متناثرة في كتب اللغة والنحو والتصريف، وتناولوها بمصطلحات عدة، منها "اجتماع حرفين" أو "المغايرة" و"توالي الأمثال" و"التضعيف"... واتفقوا على تسميتها بالمخالفة، ووزعوها حسب حالاتها في الكلام.

وسنحاول في هذا المقال مقاربة الموقف الصوتي، لدى أبي حيان الأندلسي، انطلاقا من تنزيلاته الإجرائية لظاهرة الإتباع الصوتي على بنية اللفظ في القرآن الكريم، وذلك بمحاصرة الظاهرة في ثلاث صور، الإتباع في الضم، الإتباع في الكسر الإتباع في الفتح.

- **الإتباع مقاربة مصطلحية:**

يعتبر الإتباع ظاهرة صوتية، تعتمد تماثل الجوانب النطقية، تبعا للحركات في بنية الكلمة(٤)، ويختص بالأصوات الصائتة القصيرة، وبالحركات القصيرة (الضمة، الكسرة، الفتحة)، ويراد به في اللغة: اللحوق، والإدراك(٥)، وفعلك شيئا بعد شيء وهو "من تبع الشيء تبعا، أو تباعا في الأفعال، وتبعت الشيء تبوعا سرت في أثره، وأتَّبعه، وأتبعه: قفاه، واتبع الشيء جعله له تابعا"(٦).

ولقد أدرك القدامى، منذ عهد بعيد هذه الظاهرة، في اللهجات العربية، والتقطوا صورها، في بناء "فعيل"، إذا كان عينه حرفا من حروف الإظهار؛ مثل: لئيم، شهيد، سعيد، رغيف..(٧). كما وظفوا لفظ الإتباع في باب الساكن والمتحرك(٨). أما المحدثون فقد أطلقوا على الظاهرة مصطلحات، منها: التوافق الحركي.

وهي ظاهرة تدخل في باب المماثلة، ويراد بها مماثلة حركة لحركة أخرى مماثلة تامة، وأطلق عليها إبراهيم أنيس مصطلح انسجام أصوات اللين(٩)، ويسميها أحمد مختار بالمماثلة بين العلل والعلل، أو بين العلل وانصاف العلل، ويرى غانم قدوري الحمد، أن الإتباع أحد صور المضارعة في الحركات(١٠).

يتضح أنه على الرغم من تنوع مسميات الإتباع، فإنه يبقى مفيدا لدى القدامى والمحدثين، عملية تأثر الصوت الأول بالثاني، أو العكس إما تأثرا تقدميا أو رجعيا، والتأثر يحدث عن طريق مجاورة الأصوات فيما بينها في كلمة أو كلمتين.

ويحصر عبده الراجحي: "الإتباع فيما يقع من تأثر الصوائت القصيرة، بعضها ببعض، إذ يحدث أن يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران في كلمة أو كلمتين، فيتأثر أحدهما بالآخر،

---

(٤)- معجم العين، مادة (تبع)، وتهديب اللغة (تبع).

(٥)- لسان العرب، مادة (تبع).

(٦)- الكتاب، ٧٨/٤.

(٧)- الخصائص، ٣٣/٢.

(٨)- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص: ١٧٣.

(٩)- دراسة الصوت اللغوي، ص: ٣٨٣.

(١٠)- المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري، ص: ٢١٣.

وينقلب إلى جنبه، ويؤدي ذلك إلى انسجام في الأصوات، وهذا الانسجام يؤدي إلى السهولة، والاقتصاد في الجهد العضلي عند الكلام"(١١)

- **الإتباع صور ونماذج:**

لقد ورد الإتباع بصور متعددة في البحر المحيط لأبي حيان، لكنه لا يخرج عن الصور التي تحدثنا عنها في مظاهر التأثر بين الحركات، فقد يحصل الإتباع للضم، أو الكسر، أو الفتح، في كلمة واحدة أو كلمتين، ويكون إما إتباعا تقدميا، أو رجعيا، تجاوريا، أو تباعديا.

- **أولا-الإتباع للضم**

❖ إتباع متصل مقبل في جمع "فُعلة" فقد جاء هذا النوع من الإتباع في البحر المحيط، في قوله تعالى: ﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□﴾(١٢)." إذ الخطوة بالضم، عبارة عن المسافة التي يخطو فيها كالغرفة والقبضة، وهما عبارة عن الشيء المعروف والمقبوض، وفي جمعها بالألف والتاء لغى ثلاث: إسكان الطاء، كحالها في المفرد، وهي لغة تميم، وناس من قيس، وضمة الطاء، إتباعا لضمة الخاء، وفتح الطاء، ويجمع تكسيرا على خطى، وهو قياس مطرد في فعلة الاسم"(١٣). فبين حركة الخاء والطاء من "خطوات" تأثر قبلي تجاوري، على مستوى الكلمة، عن طريق إتباع حركة الحرف الثاني لحركة الحرف الأول. ويتعزز قول أبي حيان بما جاء عن صاحب "الكتاب الموضح" "بأن ضم عين الكلمة في مثل هذا، هو مذهب أهل الحجاز، وقال فيمن سكن الطاء، إنهم لما جمعوا نووا الضمة في الطاء ثم أسكنوها استخفافا"(١٤).

ويلحق بكلمة "خطوات" "غرفات" و"حجرات"، وكلها جاءت جمعا " لفعلة"، وكلها أسماء، يصح فيها الإتباع للضم؛ "لأن النعوت لا تكون إلا ساكنة، للفصل بين الاسم والنعت"(١٥)، ويستوي في ذلك ما كانت التاء فيه ظاهرة نحو: يسرة ويسرات، وظلمة وظلمات، وما كانت التاء فيه مقدرة، كجُمل. يقول سيبويه: "وإذا جمعت جُمل على فعلات قلت: جُمُلات"(١٦)، لكن على الرغم من ذكر أبي حيان لجمع خطوة ثلاث لغات، وكذلك غرفات وحجرات، يبقى الرفع أجود لدى الفراء(١٧).فالشرط في تحقق الإتباع في هذه الكلمات، هو كونها جاءت أسماء؛ لأنه لا إتباع في الصفة، نحو: حلوة وحلوات.

---

(١١) – اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: ١٤٣.

(١٢) – سورة البقرة، الآية ١٦٨.

(١٣) – البحر المحيط، ٢/ ٩٨.

(١٤) – م. نفسه، ٣٤١/٢.

(١٥) – المقتضب، ١٨٨/٢.

(١٦) – الكتاب، ٣٩٧/٣.

(١٧) – معاني القرآن، الفراء، ٧٠/٣.

وكما حصل الإتباع للضم في كلمة واحدة، يحصل في كلمتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□﴾(١٨) قال أبو حيان: "والجمهور قرأوا بضم دال الحمد، وأتبع إبراهيم بن أبي عبلة لام الجرِّ لضمة الدال"(١٩)، إذ تأثرت حركة لام الجر، بحركة الضم في الحرف الأخير، وهو الدال من كلمة "الحمد"، وهو تأثر تقدمي تجاوري، هدفه طلب السهولة واليسر، واختصار الجهد في النطق؛ لأنه يثقل على اللسان انتقاله من الضم إلى الكسر، فيتم اللجوء إلى التوافق بين الحركتين، بجعلهما ضمتين، وليجري اللسان على وتيرة واحدة.

ويستحسن أبو حيان هذا النوع من التأثر، لأن فيه إتباع حركة البناء (لام الجر)، لحركة الإعراب، ولم يستسغ إتباع كسرة الدال لكسرة اللام، واعتبره غريبا، لأن فيه إتباع حركة معرب لحركة غير إعراب، لذلك رجح الأخذ بالرفع فقال: "وقراءة الرفع أمكن في المعنى، ولهذا أجمع عليها السبعة، لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالى، أي حمدُه وحمدُ غيره(٢٠).

فالحمد لله بضم الحرفين، أسهل من (الحمد لله)، بكسرهما، لأن أقيس الإتباع، أن يكون الثاني تابعا للأول، وذلك أنه جار مجرى السبب والمسبب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب(٢١).

- **إتباع منفصل مقبل:**

في اسم الفاعل: (مُفعِل) الأصل في اسم الفاعل من مزيد الثلاثي، صياغته على وزن مضارعه، مع إبدال ياء المضارعة ميما مضمومة، وكسر ما قبل الآخر، فنقول في أنتنَ، منتِنٌ، وفي انحدر مُتحَدِرٌ(٢٢). غير أنه ورد على صيغة مُفعُل بضم العين، على سبيل الإتباع في ذلك، حيث قالوا: « مُنْتُنٌ، ومُتحُدُرٌ أتبعوا ضمة الدال لضمة الميم(٢٣).

ومن صور الإتباع في اسم الفاعل قراءة قوله تعالى: ﴿□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□﴾(٢٤).قال أبو حيان: "وروي عن الخليل أنه يُضَم الراء إتباعا لحركة الميم، كقولهم مُخضُم"(٢٥)، وقد أورد سيبويه رواية الخليل في "الكتاب"، أن ناسا يقولون (مرُدُفين) فمن قال هذا، فإنه يريد مرتدفين،

---

(١٨) – سورة الفاتحة، الآية ١.

(١٩) – البحر المحيط، ٣٣/٣.

(٢٠) – البحر المحيط، ٣٤/١.

(٢١) – المحتسب، ٣٧/١.

(٢٢) – ارتشاف الضرب، ٥٠٩/٢.

(٢٣) – الخصائص، ٣٣٨/٢.

(٢٤) – سورة الأنفال، الآية ٩.

(٢٥) – البحر المحيط، ٢٧٩/٥.

PRINT ISSN: 2537-0685 ONLINE ISSN: 2536-9407

وإنما أتبعوا الضمة للضمة حيث حركوا، وهي قراءة لأهل مكة"(٢٦)، وقال ابن جني: "أصله مرتدفين مفتعلين من الردف، فآثر إدغام التاء في الدال، فأسكنها، وأدغمها في الدال، فلما التقى ساكنان، وهي الراء والدال، حرك الراء، لالتقاء الساكنين، فتارة ضمها إتباعا لضمة الميم، وأخرى كسرها اتباعا لكسرة الدال"(٢٧).

- في اسم المفعول (مُفْعَل): في قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٢٨). قال أبو حيان: "وقرأ يزيد بن قطيب "والمحصنات" بضم الصاد، إتباعا لضمة الميم، كما قالوا في مُتُنٌ، ولم يعتدوا بالحاجز؛ لأنه ساكن، فهو حاجز غير حصين"(٢٩). فقد أثرت حركة الميم (الضم) في حركة الصاد (الفتح)، فأحالتها من الفتح إلى الضم، على الرغم من وجود حاجز الساكن، لكنه حاجز غير حصين، ويدخل هذا النوع من الإتباع في المماثلة التقدمية المقبلة التباعدية.

❖ إتباع منفصل مدبر: ومثاله قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٣٠). فقد ورد في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وسليمان بن مِهران، بضم التاء، إتباعا لحركة الجيم، ونقل أنها لغة أزد شنوءة"(٣١). إلا أن الزجاج، وأبا علي الفارسي، خطئا هذه القراءة، وتبعهما ابن جني، مبررا غلطها، بكون كسرة التاء كسرة إعراب، وإنما يجوز ما ذهب إليه أبو جعفر، إذا كان ما قبل الهمزة ساكنا صحيحا نحو: ﴿ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٣٢)"(٣٣)، ويرى الزمخشري، أنه لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع، إلا في لغة ضعيفة كقولهم: "الحمدِ لِله"(٣٤).

لكن أبا حيان لا يقبل تخطئة القراءة ولا انكارها، باعتماد ضعف اللغة؛ لأن القارئ بها هو أبو جعفر، أحد القراء المشاهير، الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله ابن عباس، وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل، وَوَجْهُ الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج، لكونها ليست بأصل، والتاء في الملائكة تسقط أيضا؛ لأنها ليست بأصل، ألا تراهم قالوا: الملائك؟ وقيل: ضُمَّت لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقله.

---

[٢٦] - الكتاب، ٤/٤٤٤.

[٢٧] - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، ابن جني، ١/٢٧٣.

[٢٨] - سورة النساء، الآية ٢٤.

[٢٩] - البحر المحيط، ٣/٥٨٤.

[٣٠] - سورة البقرة، الآية ٣٤.

[٣١] - البحر المحيط، ١/٢٤٥.

[٣٢] - سورة يوسف، الآية ٣١.

[٣٣] - المحتسب، ١/ ٧١.

[٣٤] - الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٢٧.

إن تبريرات أبي حيان وقوع الإتباع في قوله تعالى: ﴿ ﴾، مقبولة؛ لأنه اعتمد فيها الجمع بين الترجيح بالرواية والسماع، باعتماد القراءة أصلا على القاعدة، كما اعتمد على القاعدة بإلحاق التاء بهمزة الوصل، وبكون العرب تكره الضمة بعد الكسرة. ففي هذا المثال وقع الإتباع للضم، لكن عن طريق التأثر التباعدي المدبر.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ ﴾(٣٥)، إذ وقع التأثر بين حركة الكاف (الضم) وحركة النون (الكسر)، بمماثلة حركة حرف النون حركة حرف الكاف، فيكون الثاني قد أثر في الأول؛ أي أتبعت حركة النون حركة الكاف عن طريق التماثل الرجعي التباعدي، وفي هذا يقول أبو حيان: "وقرئ بضم النون من: "وأن احكم" اتباعا لحركة الكاف"(٣٦)، ويقول سيبويه: "فضموا الساكن حيث حركوه، كما ضموا الألف في الابتداء، وكرهوا الكسر كما كرهوه في الألف، فخالفت سائر السواكن، كما خالفت الألف سائر الألفات"(٣٧).

ويجمع أبو حيان أشباه هذا المثال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ﴾(٣٨). فيقول: "واختلف القراء في حركة النون من قوله ﴿ ﴾(٣٩) ﴿ ﴾(٤٠) ﴿ ﴾(٤١)، وشبهه، وحركة الدال من "وقد استهزئ" والتاء من ﴿ ﴾(٤٢) وحركة التنوين من ﴿ ﴾(٤٣) وحركة اللام من نحو قوله ﴿ ﴾(٤٤). والواو من نحو ﴿ ﴾(٤٥)"(٤٦).وضابط حركة النون، والدال، والتاء، والتنوين،

---

(٣٥)- سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٣٦)- البحر المحيط، ٢٨٦/٤.

(٣٧)- الكتاب، ١٥٢/٤.

(٣٨)- سورة البقرة، الآية ١٧٣.

(٣٩)- سورة البقرة، الآية ١٧٣.

(٤٠)- سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٤١)- سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٤٢)- سورة يوسف، الآية ٣١.

(٤٣)- سورة النساء، الآية ٤٩-٥٠.

(٤٤)- سورة الإسراء، الآية ١١٠.

(٤٥)- سورة الإسراء، الآية ١١٠.

(٤٦)- البحر المحيط، ١١٧/٢.

واللام، في هذه الأفعال كلها، "أن تكون ضمتها لازمة، فإن كانت عارضة فالكسر نحو "أنِ امشوا"(٤٧).

- **ثانيا-الإتباع للكسر:**
- **إتباع متصل مدبر**

_ في (فَعِـــلَ): في قولـــه تعـــالى: ﴿ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□﴾(٤٨). قال أبو حيان: وقرأ الجمهور "نِعما" بكسر النون، إتباعا لحركة العين"(٤٩). واستشهد ابن جني على هذا الإتباع في "الخصائص"، في باب الساكن والمتحرك(٥٠). فأصل "نِعمَ" هو "نَعِمَ" لكن وحتى يبقى اللسان في رتبة واحدة، تأثرت حركة النون (الفتحة) بحركة العين (الكسرة)، تأثرا متصلا مدبرا، فوقع الإتباع للكسر.

وورد مثل هذا الإتباع – لكن في قراءة شاذة- في قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□﴾(٥١)، حيث "قرأ علي، وعيسى بن عمر: بكسر ياء أربعين شاذا إتباعا"(٥٢)، لكن أبا حيان، لم يظهر موقفه من القراءة الشاذة، مكتفيا بالنقل دون تعليق، مما سوغ معه تجويزه للإتباع الواقع في كلمة "أربعين"، وهو إتباع للكسر عن طريق تأثير حركة العين في حركة الياء تأثيرا مدبرا متصلا.

_ في "فُعُـــول" إذا وقعـــت جمعـــا: في قولـــه تعـــالى: ﴿ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□﴾(٥٣)، قال أبو حيان: "وقرأ الأخوان من حِليهم بكسر الحاء، إتباعا لحركة اللام، كما قالوا عصي"(٥٤)، فجمع "حُلي" على فعول، كفلس وفلوس، فأصله، حلوي كتدي، وتدوي، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت، وكسرت عين الكلمة، وإن كانت في الأصل مضمومة، لتصح الياء، لذلك جاز فيها الوجهان:

---

(٤٧) – م. نفسه، ٢/١١٧.

(٤٨) – سورة النساء، الآية ٥٧.

(٤٩) – البحر المحيط، ٣/٦٨٥.

(٥٠) – الخصائص، ٢/ ٣٣٨.

(٥١) – سورة البقرة، الآية ٥١.

(٥٢) – البحر المحيط، ١/٣٢٢.

(٥٣) – سورة الأعراف، الآية ١٤٨.

(٥٤) – البحر المحيط، ٥/١٧٦.

ترك الفاء على ضمها، أو إتباعها للعين في الكسر، وهذا مطرد في كل جمع على فعول من المعتل اللام(٥٥).

ولما صارت حلي مضمومة الحاء واللام، بعدها ياء مشددة، كان ذلك أشد "ثقلا" فكسرت اللام، لمجيء الياء، فصارت حُلِيْ بضم الحاء، وكسر اللام، وأما كسر الحاء، فيرجع إلى استثقال ضمة الحاء بعد كسر اللام وبعدها ياء. فكسر الحاء راجع إلى مجاورة كسرة اللام، وإلى رد علماء العربية ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، وهو قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□□□□ ﴾(٥٦).

فجمع حُلُيّ، جاء نتيجة لإبدال الضمة كسرة، وقلب الواو ياء، ونتيجة للاجتراء عليه بالتغيير، عن طريق "ضمة الأول من الكلمة، وهو الحاء، إتباعا لكسرة ما بعده، وهو اللام من "حلي" فبقي حلي بكسر الحاء"(٥٧)، وما يجري على "حلي" يجري على "صليا" من سورة مريم مما جاء لامه ياء.

وفي قوله تعالى: ﴿ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٥٨). قرأ أبو بحرية، وابن أبي ليلى، والأعمش، وحمزة، والكسائي، "عتيا" بكسر العين، وباقي السبعة بالضم، وعبد الله بفتح العين، وصاد "صليا" جعلهما مصدرين كالعجيج والرحيل، وفي الضم هما كذلك، إلا أنهما على "فعُول"(٥٩). وقرأ طلحة بن سليمان "جنيا" بكسر الجيم إتباعا لحركة النون"(٦٠).

وفي "بكيا" قرأ الجمهور "بكيا" بضم الباء وعبد الله، ويحيى، والأعمش، وحمزة، والكسائي، بكسرها، إتباعا لحركة الكاف كعصي ودلي"(٦١).

وأما ما كان لإمه ياء نحو "ثدي" و"حلي" و"صلي" فإنهم يكسرون الفاء أيضا؛ لأن الأصل تدوي، فقلبت واو فعول ياء، لاجتماع الواو والياء، وسكون الأول، فأدغمت الياء في الياء، إلا أنهم أجروها مجرى ما كان من الواو فكسروا فاءها(٦٢). أما المصدر على "فعول" فقد عاملوه معاملة الجمع، فقالوا عتي، كما قالوا دِلي، وعلى هذا جاء في حرف عبد الله ﴿ ظلما وعليا﴾(٦٣).

ومن هذا الجانب رد أبو حيان اعتبار ابن عطية بكيا مصدرا لا يجري عليه الإتباع، فقال: "وقوله ليس بسديد؛ لأن إتباع حركة الكاف لا تعيّن المصدرية، ألا تراهم قرؤوا جثيا بكسر

---

(٥٥)- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ٤٥١/٥.

(٥٦)- سورة طه، الآية ٦٢.

(٥٧)- الكتاب الموضح، ص: ٥٥٥.

(٥٨)- سورة مريم، الآية ٧.

(٥٩)- البحر المحيط، ٢٤٣/٧.

(٦٠)- م. نفسه، ٢٥٥/٧.

(٦١)- م. نفسه، ٢٧٧/٧.

(٦٢)- الكتاب الموضح، ٨١٢/٢.

(٦٣)- م. نفسه، ١٨٣/٢.

PRINT ISSN: 2537-0685 ONLINE ISSN: 2536-9407

الجيم، جمع جاث، وقالوا عصيّ فأتبعوا"(٦٤). لكن صاحب الموضح، يرى أن ما كان مصدرا من الياء، لا يستمر الكسر في فائه، كما استمر في الجمع والمصدر الذي من الواو، لأنه ليس بجمع ولا فيه تغييران، ولأن أحدا لم يرو في الماضي إلا ضم الميم، قال تعالى: ﴿ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٦٥)"(٦٦).

نستخلص أن الإتباع للكسر، يتحقق في "فعول" إذا كان جمعا، وقد يكون مصدرا لكنه يعامل معاملة الجمع، لكن يستثنى المصدر من الياء خلافا للمصدر الذي من الواو.

- إتباع منفصل مدبر: في قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٦٧).قرأ الأعمش في رواية، مِنسيا بكسر الميم، إتباعا لحركة السين، كما قالوا منتِنٌ، باتباع حركة الميم لحركة التاء"(٦٨). فقد جاءت حركة الميم تابعة لحركة السين، حيث تأثر الحرف الأول، بالحرف الثاني تأثرا مدبرا منفصلا، إذ لا يعتد بالساكن بين الحرفين المتحركين، لأنه حاجز غير حصين. ووقع هذا التأثر في كلمة المرء من قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٦٩). وفيه قراءة ابن أبي إسحاق: "بين المِرء" بكسر الميم إتباعا لحركة الإعراب، إذ في المرء لغتان، هما فتح الميم مطلقا، وإتباعها حركة الإعراب»(٧٠).وجعله ابن جني في المحتسب من الشواهد الثابتة في الاستعمال اللغوي(٧١).
- إتباع منفصل مقبل: قد يأتي الإتباع للكسر في كلمة، لكنه منفصل غير متصل، كما في قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٧٢)، حيث ورد "أنبئهِم" بكسر الهاء، وهو مروي عن ابن عامر، ووجهه، أنه أتبع حركة الهاء لحركة الباء، ولم يعتد بالهمزة؛ لأنها ساكنة، فهي حاجز غير حصين"(٧٣). فالأصل، هو ضم الهاء، لكن على الرغم من وجود حاجز السكون بين حركة الياء والهاء، فقد حصل الإتباع؛ "لأن

---

(٦٤) – البحر المحيط، ٧/ ٢٧٧.

(٦٥) – سورة يس، الآية ٦٧.

(٦٦) – الكتاب الموضح، ١٨٣/٢.

(٦٧) – سورة مريم، الآية ٢٢.

(٦٨) – البحر المحيط، ٢٥٣/٧.

(٦٩) – سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٧٠) – البحر المحيط، ٣٠٣/٥.

(٧١) – المحتسب، ١٠٢/١.

(٧٢) – سورة البقرة، الآية ٣٢.

(٧٣) – البحر المحيط، ٢٤٠/١.

الحرف الساكن، ليس عندهم بحاجز حصين.. ألا ترى أنك تقول: أُقتُل فتتبع الألف التاء، كأن بينهما شيء"(٧٤).

ولم يجز الأزهري إتباع حركة الهاء لحركة الياء، إلا إذا تم حذف الهمزة؛ أي (أنبيهم)، ولأن ""أنبئهم" بكسر الهاء لم يقرأ به أحد"(٧٥)، غير أن ابن خالويه يعتبر الإتباع وجها، شريطة أن تكون "الهمزَة مخففة لتصيير ياء، وهي غير مرادة"(٧٦). ويجيزه صاحب "الكتاب الموضح"، شرط إجراء الهاء مجرى ما تليه الكسرة، نحو (بِهم)، ولم يعتد بالحاجز لسكونه، كما قلبوا الواو ياء في قولهم دِنيا، لكسرة الدال، ولم يعتد بالنون َحاجزا لسكونه، فكأن الكسرة تلي الواو، لأن الأصل دنوا(٧٧).

- **ثالثا - الإتباع للفتح:**

➢ إتباع متصل مدبر: اعتبر أبو حيان هذا النوع من الإتباع، محتجا بما ورد عن الحسن البصري في قراءة "مذَبذَبين" بفتح الميم والذالين، وهي قراءة ابن عباس، فقد رأى أبو حيان أن الحسن البصري من أفصح الناس، يحتج بكلامه، وأن قراءته لها وجه في العربية، فقال: "وإذا كانوا قد أتبعوا حركة الميم بحركة عين الكلمة في مِثل مِنتِنٌ، وبينهما حاجز، فلأن يتبعوا بغير حاجز أولى، وكذلك أتبعوا حركة عين "مُتفعِل" بحركة اللام في حالة الرفع، فقالوا مُنحُدُرٌ"(٧٨)، لكن أبا حيان لم يجز الإتباع في قوله تعالى: ﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□﴾(٧٩)؛ لأن صيغة مفعول من فَعَلَ؛ ولأن القراءة بها شاذة(٨٠).

➢ إتباع متصل مقبل: ذكر أبو حيان الإتباع للفتح في قوله تعالى: ﴿□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾(٨١)، ونسبه إلى لغة هذيل بن مدِركة، وجعل فتح الوِاو لغة ثانية، رغم تخطئة ابن مجاهد لاستعماله؛ لأن الإتباع وارد في "فعلة" إذ تجمع على فعَلات، وذلك إذا أردنا أدنى العدد جمعناها بالتاء، وفتح العين مثل: قصعة، وقصعات، وجفنة، وجفنات، وحفنة، وحفنات(٨٢)، إلا أن عامة العرب كرهوا تحريك العين، فيما كان عينه واوا أو ياء(٨٣).

---

(٧٤) – الكتاب، ٣/٢٣٤.

(٧٥) – معاني القراءات، الأزهري، ١/ ١٤٦.

(٧٦) – الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص: ٧٥.

(٧٧) – الكتاب الموضح، ص: ٦٧. والمحتسب، ١/٧٠.

(٧٨) – البحر المحيط، ٤/١١١.

(٧٩) – سورة الفيل، الآية ٥.

(٨٠) – البحر المحيط، ١٠/٥٤٥.

(٨١) – سورة النور، الآية ٣١.

(٨٢) – الكتاب، ٣/٥٧٨.

(٨٣) – حجة القراءات، ابن زنجلة، ص: ٥٠٦.

فالإتباع هنا خاص بالاسم دون الصفة، "فإذا كان الاسم الساكن العين الثلاثي في صفة غير مضعف ولا معتل نحو ضخمة وحلفة، وضحكة، وجونة، وغيلة، فليس إلا السكون في جميع لِغاتِ العرب هذيل وغيرهم(٨٤). وسوغ قطرب فيما نقله عنهِ أبو حيان، إجازة الفتح في جمع "فعلة" نحو صعبات قياسا على كهلة، وكهلات بالفتح، وكهلات بالسكون أشهر(٨٥).

نستخلص بعد تتبع الإتباع للفتح، أن هذا النوع قد حصل في كلمة عن طريق التأثير المدبر المتصل، مثل "مذبذبين" أو تأثير مقبل متصل، كما في "مأكول" رغم شذوذه، وفي "عَوَرات"، لكن هذا النوع بمجموع أنواعه، مختلف فيه بين أهل العربية، وقد أجاد أبو حيان نقل الخلاف الوارد فيه، أما النوعان الأولان، فقد حصل فيهما الإتباع، لكن ذلك لا يتم إلا بشروط، وحسب طبيعة اللفظة، وبنائها الصرفي.

- **خاتمة:**

نستخلص من تتبع مظاهر الإتباع، أنه على الرغم من تنوع مسمياته، فإنه يبقى مفيدا لدى القدامى والمحدثين، عملية تأثر الصوت الأول بالثاني، أو العكس، إما تأثرا تقدميا، أو رجعيا، والتأثر يحدث عن طريق مجاورة الأصوات فيما بينها في كلمة أو كلمتين.

أن لأبي حيان مواقف من إجراء الإتباع على بعض ألفاظ القرآن الكريم، لكنها مواقف تكون دائما مصحوبة بدليل، يجعله مخالفا لغيره، ومتشبثا بموقفه، ومن ذلك أن أبا حيان، وهو يعالج الاتباع في قوله" ﴿ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ ﴾ لا يقبل تخطئة القراءة، ولا انكارها، باعتماد ضعف اللغة؛ لأن القارئ بها هو أبو جعفر، أحد القراء المشاهير، الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله ابن عباس، وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل، وَوَجهُ الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج، لكونها ليست بأصل، والتاء في الملائكة تسقط أيضا؛ لأنها ليست بأصل، ألا تراهم قالوا: الملائك؟ وقيل: ضُمَّت لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقله.

أن تبريرات أبي حيان وقوع الإتباع في قوله تعالى:" □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ "، اعتمدت الجمع بين الترجيح بالرواية والسماع، باعتماد القراءة أصلا على القاعدة، كما اعتمدت على القاعدة، بإلحاق التاء بهمزة الوصل، وبكون العرب، تكره الضمة بعد الكسرة.

أن أبا حيان، لم يظهر موقفه من القراءة الشاذة، مكتفيا بالنقل دون تعليق، مما سوغ معه تجويزه للإتباع الواقع في كلمة "أربعين"، وهو إتباع للكسر عن طريق تأثير حركة العين في حركة الياء تأثيرا مدبرا متصلا.

أن أبا حيان يرد اعتبار ابن عطية بكيا مصدرا، لا يجري عليه الإتباع، ببيان أن "قوله ليس بسديد؛ لأن إتباع حركة الكاف، لا تعيّن المصدرية، ألا تراهم، قرؤوا جثيا بكسر الجيم، جمع جاث، وقالوا عصيّ فأتبعوا"(٨٦). لكن صاحب الموضح، يرى أن ما كان مصدرا من الياء، لا يستمر

---

(٨٤)- ارتشاف الضرب، ٢/٥٩٣.

(٨٥)- م. نفسه، ٢/٥٩٣.

(٨٦)- البحر المحيط، ٧/ ٢٧٧.

الكسر في فائه، كما استمر في الجمع والمصدر الذي من الواو، لأنه ليس بجمع ولا فيه تغييران، ولأن أحدا لم يروِ في الماضي إلا ضم الميم، قال تعالى: ﴿ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾(٨٧)"(٨٨).

أن الإتباع للكسر، يتحقق في "فعول" إذا كان جمعا، وقد يكون مصدرا، لكنه يعامل معاملة الجمع، باستثناء المصدر من الياء.

يرى أبو حيان أن الحسن البصري من أفصح الناس، فيحتج بكلامه، مؤكدا أن قراءته لقوله تعالى "مِذَبْذَبِين" بفتح الميم والذالين، لها وجه في العربية، مبينا أنه "إذا كانوا قد أتبعوا حركة الميم بحركة عين الكلمة في مِثِل مِنِتِنٍ، وبينهما حاجز، فلأن يتبعوا بغير حاجز أولى، وكذلك أتبعوا حركة عين "مُتفعِل" بحركة اللام في حالة الرفع، فقالوا مُنحُدُرٌ.

• المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم انيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧١م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م
- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر القاهرة، ١٩٩٧م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ط، بدون ت.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٣، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ ه.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٦.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط١، ١٤٢٥ه ــ ٢٠٠٤م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١/٢٠٠٠م.

---

(٨٧) – سورة يس، الآية ٦٧.

(٨٨) – الكتاب الموضح، ٢/١٨٣.

- معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.
- معاني القـــرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋